

للمغامرات، كل هذا من طبعه ومما فطر عليه، فلا يمكن أن يلزم بما ينافر هذا الطبع، ويجافي هذه الفطرة، لا يمكن أن يلزم بالقبوع في كهف أو مغارة أو جبل من الجبال، لا يأكل إلا من أعشابها، ولا يشرب إلا ما يشتهه من رمالها، أو يلتقطه من نداها أو مطرها، لا يمكن أن يكبل نشاطه الانساني، وتقيد إمكانياته البشرية، واستعداداته الطبيعية بقيد ينافيها و يبطلها ويذهب بللغالية المقصودة منها، لا يمكن أن يقال له "جع" وقد خلقت له معدة وأمعاء وجهاز كامل يقتضي أن يأكل، ولا يمكن أن يقال له "اكتف بالضروري من الغذاء" وقد خلقت غدده وأجهزته الهضمية وما يتصل بتقوية وبنيته خلقاً يستدعي أن يتوسع في ذلك، وأن يترفه أحياناً، وأن يتمتع متاعاً حسناً يشرح به صدره ويقر به عينا، ويعرف معه نعمة الله عليه، ولا يمكن أن يقال له: انقطع عن الاجتماع، وأنت مدني بالطبع، ولا اهجر النساء، وهكذا فالفطرة تأتي كل ما ينافيها، وهي الباقية في الانسان الراسخة فيه، وكل ما سواها فهو طارئ عليها، متأثر بها، لا يستطيع أن يزيلها، ولا يقوى على أن يحيلها.

نزوع أهل الاديان السابقة إلى مقاومة الفطرة:

نزع أهل الاديان السابقة إلى الخروج بالانسان عن هذا النطاق الذي ضربته عليه الفطرة "فطرة الله التي فطر الناس عليها" فكان منهم من آثر الجانب الروحي ورمي إلى فك أسر الانسان من قيود المادة، وانتزاعه من العواطف والميول والنزعات والشهوات التي ركبت فيه، وكانت طباعاً لازمة له، ومن هنا كان التزهّد والتبتل والترهب والتخلي والتعشّف، ومكابدة الحرمان في المأكّل والمشرب والملبس والشهوة الجنسية.

الرهبانية ابتداءً من المسيحيين:

و إذا قلت في هذا المقام: نزع أهل الاديان السابقة، فإنني أريد أن يفهم القارئ من هذا أن الاديان السابقة نفسها لم تكن تفرض على الناس ابتداءً